

اجتهادات مغزى التراجع الليبرالى

لم يكن حصول حزب الديمقراطيين الليبراليين على 11 مقعداً فقط فى الانتخابات البريطانية الأخيرة مفاجئاً أو مدهشاً، بخلاف ما نتابعه فى بعض التعليقات والتحليلات فى الإعلام الغربى. خسر هذا الحزب مقعداً واحداً فقط، إذ كان لديه 12 مقعداً فى انتخابات 2017 المبكرة.

ولكن يبدو أن الحديث عن مفاجأة يرتبط بتوقعات رشحت الليبراليين لتحقيق تقدم كبير اعتقاداً فى أن الكثير من الناخبين المستائين تجاه حزبى المحافظين والعمال يمكن أن يجدوا فيهم خياراً مناسباً. وكانت تلك التوقعات قد شاعت منذ أن قرر منشقون عن هذين الحزبين الانضمام إلى حزب الديمقراطيين الليبراليين، بدلاً من تأسيس حزب جديد. وبموجب تلك التوقعات، بدا أن هذا الحزب يمكن أن يحصل على ما بين 40 و50 مقعداً، الأمر الذى كان ممكناً أن يجعله فى مركز قوة، ويعيده إلى قلب الحسابات السياسية، خاصة فى حالة عدم حصول حزب المحافظين على الأغلبية.

غير أن هذه التوقعات لم تستند على أساس قوى، ولذا كان طبيعياً أن تذوب فى صناديق الاقتراع التى كشفت أن الليبراليين البريطانيين يواصلون رحلة التراجع الذى بدا فى انتخابات 2015، عندما خسروا أكثر من ثلثى مقاعدهم التى انخفض عددها من 27 إلى ثمانية فقط.

ولكن المهم أن الليبراليين لم يكونوا فى موضع متقدم فى أى وقت، منذ أن أسسوا حزبهم الحالى عام 1988. فقد بدأ هذا الحزب متواضعاً منذ

اللحظة الأولى، وهو ما لم يلحظه من أسكرتهم نشوة الانتصار على الاتحاد السوفيتى السابق فى الحرب الباردة، ولم يفهموا أن الغرب انتصر فى معركة استراتيجية بالأساس، وأن الأفكار الليبرالية أدت وظيفتها التاريخية، وأمدت البشرية بكثير من أفضل قيمها ومقومات ثقافتها.

وقد تأثرت اتجاهات سياسية وفكرية كثيرة بثقافة الليبرالية وقيمها، بدءاً من العقلانية وتحرير العقل والتفكير العلمى، مروراً بالحرية والمساواة القانونية وقبول الآخر والتسامح، ووصولاً إلى تمكين المرأة وحقوق الأقليات وإلغاء مختلف أشكال التمييز. وإذ لم تعد هذه الثقافة مقصورة على أحزاب وحركات ليبرالية، كان طبيعياً أن يتراجع حضور الليبراليين السياسى سواء فى بريطانيا، أو غيرها.